ليست دقيقة أو ثابتة . حيث تتسم بالغموض وعدم الوضوح بالنسبة إلى قضايا الساعة التي يثور حولها الخلاف . ولا تقف موقفاً صريحاً وواضحاً إلا بالنسبة للقضايا التي لا يدور حولها أي جدال أو نقاش . وتوجه تلك الأحزاب عنايتها وإهتمامها إلى الجماعات المؤثرة في المجتمع من أجل الحصول على تأييدها في الإنتخابات. وذلك من خلال وضع البرامج التي تحظى بتأييد تلك الجماعات . وخلاصة القول إن النجاح في نظر أحزاب المساومة لا يقاس بالثبات على العقيدة والمبدأ والإخلاص لبرنامج الحزب ولكن يقاس بعدد الإنتخابات التي فاز بها الحزب(١).

المبحث الثالث
أنواع النظم الحزبية

سنبحث أنواع النظم الحزبية إستناداً إلى عدد الأحزاب الفاعلة والمؤثرة في صنع القرار. أي الأحزاب التي تتولى الحكم أو التي لها مساهمة فاعلة في المشهد السياسي سواءً كانت في سدة الحكم أو في المعارضة. وللنظم الحزبية من حيث فاعليتها ومشاركتها في الحياة السياسية ثلاث صور . هي. نظام الحزب الواحد . نظام الحزبين ونظام تعدد الأحزاب(٢).

المطلب الأول
نظام الحزب الواحد

عرف نظام الحزب الواحد في العقد الثاني من القرن العشرين وذلك بعد قيام ثورة البلاشفة في روسيا سنة ١٩١٧(٣) .ومنها إنتقل إلى دول شيوعية أخرى كالصين ودول أوربا الشرقية (السابقة) وكوريا الشمالية وكوبا و كذلك تبنته دول أخرى مضادة للفكر الشيوعي كالنظام الفاشي في إيطاليا والنازي في ألمانيا وبعض دول العالم الثالث.

ويلاحظ على الحكومات التي تعتنق هذا النظام إجازتها لحزب واحد يحتكر النظام السياسي في الدولة من حيث مباشرة السلطة والتمتع بإمتيازاتها . ولكن كيف وجد الحزب الواحد في المجتمعات ألتي أخذت به ؟ تباينت السبل التي يصل فيها الحزب إلى السلطة فقد يأتي

١ راجع في تفاصيل ذلك. اوستن رني . مصدر سابق.ص١٢ وما بعدها. د.شمران حمادي . مصدر سابق. ص ١٧١ وما بعدها.

٢ وهناك من يرى وجود صورة أخرى للنظم الحزبية وهي صورة نظام الحزب القائد.إنظر د.شمران حمادي.مصدر سابق.ص١٧١و٢٤٢وما بعدها.د.صالح جواد الكاظم.مصدر سابق . ص١٤٧ وما بعدها. ومن الصعب مجاراة هذا الرأي لأن نظام الحزب القائد هو في حقيقته نظام الحزب الواحد اما القول بوجود جبهة وطنية يقودها الحزب الحاكم فهو قول لا يمت إلى الواقع بصلة. حيث يلاحظ هيمنة الحزب الحاكم على كل مؤسسات الدولة من خلال منحه لنفسه أفضلية مطلقة ودائمة على الأحزاب التي وافق على ظهورها في المشهد السياسي دون ان يكون لها دوراً مؤثراً في صنع القرار. وهذا ما لوحظ تطبيقه في الدول التي ظهرت فيها هذه التسمية . كبعض الدول الإشتراكية السابقة (بلغاريا . بولندا) وكذلك النظام السياسي في العراق قبل الإحتلال الأمريكي في ٢٠٠٣\٤\١٩ والنظام السياسي في سوريا وفقاً لدستور ١٩٧٣ (المادة الثامنة منه).

٣ ديفر جيه . مصدر سابق. ٢٤٢.

عن طريق القوة والعنف (الحزب الشيوعي في روسيا) أو قد يصل إليها بإعتماده الإسلوب الديمقراطي ثم ينقلب عليه (الحزب النازي في ألمانيا) وقد يتم إنشاء الحزب بعد إستيلاء (الحاكم الفرد) على السلطة (معظم دول العالم الثالث) ويلاحظ إن الحكام الجدد بعد وصولهم إلى السلطة سواء عن طريق الإنتخاب او القوة والعنف إلى إلغاء الأحزاب الاخرى والإبقاء على الحزب الذي ينتمون إليه. وهذا ما حصل في الإتحاد السوفيتي السابق بعد ثورة تشرين الأول ١٩١٧ . حيث كانت هناك عدة أحزاب تعمل في الظل قبل الثورة إلا إنها ظهرت علانية بعد نجاح الثورة وإشتركت في الإنتخابات التي جرت في نيسان ١٩١٨ لإختيار أعضاء المجلس المحلي في موسكو . وشكل حزب العمال الإشتراكي[1] مع الإشتراكيين الثوريين اليساريين أول حكومة بعد الثورة . وظلت الاحزاب قائمة في الإتحاد السوفيتي حتى أواخر عام ١٩٢٠ عندما أعلن قيام نظام الحزب الواحد وإلغاء جميع الأحزاب السياسية عدا (الحزب الشيوعي) الذي هيمن على النشاط السياسي في البلاد.

وكذلك ظهر نظام الحزب الواحد في دول أخرى لا تعتنق الماركيسية . كإيطاليا في العهد الفاشي وألمانيا أبان الحكم النازي وإسبانيا في عهد (فرانكو) والبرتغال في ظل نظام (سالازار) ([2]). حيث قامت تلك الأنظمة بإلغاء الأحزاب الموجودة وإحتكر حزبها الوحيد السلطة (كالحزب الفاشي في إيطاليا والنازي في ألمانيا).

وظهر الحزب الواحد كذلك في بعض دول العالم الثالث التي حصلت على الإستقلال بعد كفاح مرير. حيث قامت معظم تلك الحكومات الجديدة بإلغاء الاحزاب (إن وجدت) وتأسيس حزباً واحداً تعتمد عليه في إجراء التحولات التي تطمح في تحقيقها.

ويلاحظ إن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الاخذ بهذا النظام حدوث أزمات حادة في البلاد (سياسية. إقتصادية أو إجتماعية) أو قيام إضطرابات تؤدي إلى تغيير النظام السياسي وإتجاه النظام الجديد نحو إحتكار السلطة وإلغاء القوى السياسية الأخرى.

أسباب إعتناق نظام الحزب الواحد:-

تباينت النظم التي أخذت بنظام الحزب الواحد في بيان الأسباب التي دفعتها لذلك . فبالنسبة للنظام الشيوعي السوفيتي سنده في ذلك المفهوم الماركيسي-اللينيني للحزب والذي يرى أن الحزب تعبيرٌ سياسيٌ عن طبقة إجتماعية وبالنظر لكون السلطة في بلادهم هي سلطة دكتاتورية البروليتاريا القائمة على تحالف العاملين وتلافي مصالحهم ومن ثم لا مبرر لتعدد الأحزاب . إضافة إلى ذلك يشكل هدف خلق المجتمع الشيوعي عاملاً معززاً للمناداة بالحزب الواحد . حيث يقتضي هذا الهدف (كما يرون) وجوب تركيز السلطة في قبضة الحزب الشيوعي لكي يقوم أي إنحراف عن الخط المحدد لنمو المجتمع السوفيتي وقد تنطوي التعددية الحزبية على إحتمالات لمثل هذا الإنحراف .

وتأسيساً على ما تقدم دأبت الزعامات السوفيتية المتعاقبة منذ بدأ النظام الشيوعي في روسيا ١٩١٧ وحتى تفكك الإتحاد السوفيتي ١٩٩١ وسقوط النظام الشيوعي إلى رفض كل

١ تم تبديل إسم حزب العمال الإشتراكي إلى الحزب الشيوعي الروسي منذ آذار ١٩١٨. أنظر د.شمران حمادي . مصدر سابق . ص٢٢٧.

٢ د.عبد الحميد متولي. القانون الدستوري . مصدر سابق . ٤٩٦ وما بعدها.

دعوة تسمح بتعدد الأحزاب إذ إن التعددية المسموح بها (تقضي بأن يكون الحزب البلشفي في السلطة . وتكون الاحزاب الأخرى نزيلة السجون) كما يردد بعض قادة الحزب الشيوعي [1].

وسار على هذا النهج أيضا (ميخائيل غورباشيف) آخر رؤساء الإتحاد السوفيتي على الرغم من سياسته الجديدة التي سماها (إعادة البناء والمكاشفة) إذ لم تقترب تلك السياسة من مناقشة تبني النظام السياسي لإسلوب نظام الحزب الواحد[2].

إلا بعد إقتراب النظام من نهايته حيث وافقت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في شباط ١٩٩٠ ألا يتولى الحزب سلطات الدولة وأن يكون قائدا سياسيا وأعلن (غورباشيف) إن أحزاب أخرى ستقام في الإتحاد السوفيتي [3].

أما بالنسبة للنظم الفاشية فكان إعتناقها لهذا النظام يقوم على أساس عدم إيمانهم بالنظام الديمقراطي والنظام البرلماني بإعتبارهما مسؤولين عن موجة الفوضى التي يسببها الإفراط في الحرية . وعن ظاهرة الضعف الشديدة التي تعاني منها السلطة التنفيذية[4].فضلا عن إيمانهم المطلق بمقولة (الزعامة والزعيم المنقذ) فالزعامة كما يرى (النازيون) تفترض وجود صفات معينة لا يمكن أن توجد إلا في شخص الزعيم (هتلر) والشعب لا يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه لذلك كان عليه أن يترك مهام الحكم إلى هذا الزعيم [5]. وهذا هو ذات الإتجاه الذي آمن به (الفاشيون) في إيطاليا . حيث يرون إن السلطة يجب أن تؤول إلى الصفوة الممتازة. ومن ثم إلى الفرد الممتاز من بين تلك الصفوة . حيث إن التاريخ من صنع النخبة الممتازة التي تؤكد ذاتها من وقت لآخر كما إنها تؤكد على أحقية الأقلية في حكم الأغلبية على أساس الكفاءة والمؤهلات التي تتميز بها تلك الأقلية.

وهذا ما أكده (موسوليني) بقوله (إن التاريخ يبرهن على إن التغيرات الإجتماعية تمت أولاً على أيدي الأقليات . على أيدي حفنة من الرجال) [6]. ومن ثم لا وجود لأغلبية او معارضة بل إنهم ينكرون قيام معارضة للحاكم الفرد وبأية صورة كانت. والحقيقة إن وجود الحزب الواحد في تلك الأنظمة هو وسيلة وليست غاية . إذ يراد فيه دعم وحماية نظام الحكم وليس المشاركة في صنع القرار ومن ثم يعد من أهم أعمدة بناء أي نظام دكتاتوري خاصة في بداية عهده . لأنه وجد لخدمة الدكتاتور ونظامه . حيث يعد الرابط بين الحاكم والمحكومين وهو أشبه بالإذاعة ألتي لديها جهاز لإرسال الأنباء وآخر لتلقيه . إذ يستطيع الحزب أن يسمع الشعب صوت الحاكم كما يعمل على إسماع الحاكم صوت الشعب[7]. إضافة إلى ذلك يرى مؤيدو ذلك النظام إن الحزب يقوم بخلق نخبة أو طليعة قيادية وزعماء سياسيين وإداريين أكفاء ومؤهلين لإدارة شؤون

١ أنظر د.إسكندر غطاس.مصدر سابق . ٤٩٢.

٢ د.حسان شفيق. تطور النظام السياسي للإتحاد السوفيتي وسياسة إعادة البناء والمكاشفة لميخائيل غورباشيف. مجلة العلوم السياسية . كلية العلوم السياسية. جامعة بغداد . العدد الثالث.١٩٨٨.ص٢١٠. وأنظر أيضا في سياسة غورباشيف كتابه البيريسترويكا . إعادة البناء والمكاشفة. ترجمة د.عباس خلف . بغداد.١٩٩٠.

٣ د.صالح جواد الكاظم.مصدر سابق.ص١٣٠.

٤ د.طعيمة الجرف.نظرية الدولة. مصدر سابق . ص٥٣١.

٥ د.عبد الحميد متولي.مصدر سابق.ص٤٧٧.

٦ د. شمران حمادي . مصدر سابق . ص ٢٢٠.

٧ د.عبد الحميد متولي. الحريات العامة .منشأة المعارف . الإسكندرية. ١٩٧٥. ص١٦٤.ديفرجيه. مصدر سابق . ص ٢١٥.

الدولة . لأن الجماهير لا تستطيع حكم نفسها بنفسها. ولكن الصفوة الممتازة تستطيع أن تقوم بوظيفة الإدارة لإنها أعدت لذلك من قبل الحزب[1].

أما بالنسبة لدول العالم الثالث والتي إنتشر في معظمها نظام الحزب الواحد بعد التحرر من الإستعمار فأسباب ذلك تعود إلى التقاليد والنظم الإجتماعية وآثار السيطرة الإستعمارية . فضلاً عن متطلبات مرحلة ما بعد الإستقلال . والتي رأى بعض القادة السياسيين إن نظام الحزب الواحد هو الوسيلة التي تحقق التماسك السياسي والوحدة السياسية بعد الإستقلال ودوره هو تحقيق الإدماج السياسي[2].

وعلى الرغم من تعدد الدول التي كانت تأخذ بنظام الحزب الواحد أو التي لازالت تأخذ به في الوقت الحاضر (كالصين . كوريا الشمالية . كوبا وبعض النظم في دول العالم الثالث) إلا أننا إرتأينا دراسة تجربة نظام الحزب الواحد في الإتحاد السوفيتي لأنه أول دولة طبق فيها هذا النظام ودامت أكثر من سبعين عاماً . فضلاً عن إختلاف المكانة التي كان يحظى بها الحزب الشيوعي في الإتحاد السوفيتي السابق عن مكانة الحزب في النظم الفاشية التي ظهرت في أوربا[3].

نظام الحزب الواحد في الإتحاد السوفيتي السابق:- سبق وأن اوضحنا بعدم سماح السلطة في روسيا للنشاط الحزبي العلني قبل الثورة مما أدى إلى نمو حركات سياسية سرية كان من بينها حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي (الشيوعي لاحقاً) والذي إستطاع الإستيلاء على السلطة عقب إندلاع ثورة ١٩١٧ ومن ثم جعل نفسه الحزب الوحيد في النظام السياسي الجديد في سنة ١٩١٨ . وذلك إنسجاماً مع المفهوم الماركسي للحزب بأنه التعبير السياسي عن طبقة إجتماعية . ومن ثم لا يسوغ كما يرى ستالين (أن يقوم سوى حزب واحد في الإتحاد السوفيتي . وهو الحزب الشيوعي الذي يذود بجرأة وإلى آخر المدى عن مصالح العمال والفلاحين)[4].

ولوحظ إن الحزب الشيوعي في التنظيم السياسي السوفيتي كان يؤدي دوراً مؤثراً وفاعلاً في عملية التغيير التي جرت حينذاك . إلا إن هذا الدور يجب أن يتطور ويواكب المراحل المختلفة لنمو الثورة الإشتراكية (مثلما يرى الكتاب السوفيت).

ففي المرحلة الأولى يتولى الحزب الشيوعي التمهيد للثورة الإشتراكية وهذا ماقام به الحزب البلشفي رغم قلة عدد أعضائه . حيث نجح في تحريك الجماهير في روسيا ومن ثم الإستيلاء على السلطة. وبعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة يكون الحزب الشيوعي فيها أداة لتحقيق دكتاتورية البروليتاريا وقائد التنظيم السياسي الجديد . وقد تحقق ذلك في التطبيق السوفيتي منذ تشرين الثاني ١٩١٧ . حيث كرس هذا المركز رسمياً في المؤتمر الثامن للحزب المنعقد في آذار ١٩١٩. ويزاول الحزب هذا الدور القيادي من خلال هيمنته على إختيار القيادات المسؤولة في

---

١ ديفر جيه . نفس المصدر . ص ٢٦٤.

٢ د. حورية توفيق . مصدر سابق . ص٣١.

٣ ونقصد بذلك الحزب الفاشي في إيطاليا والنازي في ألمانيا . وكذلك حزب الإتحاد القومي في البرتغال وحزب الفالانج في إسبانيا .

٤ أنظر تفاصيل ذلك د. إسكندر غطاس . مصدر سابق . ص١٨٧ وما بعدها.

كافة أجهزة السلطة وفي مختلف مستوياتها . حيث يقوم بمهمة إعداد قوائم الترشيح للمناصب المختلفة في الدولة . بالإضافة إلى إختصاصه بوضع برامج نشاط هيئات الدولة خلال مؤتمرات الحزب أو خلال الجلسات المشتركة التي تضم قيادات الحزب والمسؤولين في أجهزة الدولة . ومتابعة تنفيذها ومحاسبة المسؤولين عند إخلالهم بها. إضافة إلى ما تقدم يؤدي الحزب دورا أيديولوجياً بالغ الخطورة . فهو الذي يحدد الإتجاه الأيديولوجي للدولة . ويعلن إنسجام القضايا والمسائل التي يدور حولها النقاش والبحث مع النظرية الماركسية- اللينينية . ويراقب الإتجاهات الفكرية والعلمية الجديدة . فيدين منها ما يراه منطوياً على تحريف أو مراجعة للماركسية- اللينينية. ويواصل الحزب الشيوعي إداء هذه الوظيفة طوال الفترة اللازمة لإستكمال البناء الإشتراكي وحتى مرحلة الإنتقال من المجتمع الإشتراكي إلى المجتمع الشيوعي . حيث تبدأ مرحلة (دولة كل الشعب) التي يتولى فيها الحزب مهام جديدة بوصفه حزب كل الشعب [1].وتتعاظم مهام الحزب في هذه المرحلة الجديدة. فيرى السوفيت إزدياد تأثير الحزب في حياة المجتمع السوفيتي إطراداً كلما إقترب من مرحلة الشيوعية. فهو الأصلح كما يشيرون لمواجهة الإنتقال الى الشيوعية . إذ إن هذه المرحلة تحتاج إلى إستخدام أساليب الإقناع ونشر الوعي الشيوعي ونبذ أساليب السلطة العامة المرتكزة على القمع والإكراه التي يتسم بها نشاط هيئات الدولة .

ومع هذه الأهمية الكبيرة لدور الحزب الشيوعي إلا إن دوره في الحياة السياسية بإعتباره الحزب الوحيد لم ينكرس بصورة شرعية ودستورية إلا في دستور سنة ١٩٣٦ [2] . وذلك بموجب المادة ١٢٦ منه والتي نصت على أن (يتحد المواطنون الأكثر نشاطاً والأكثر وعياً من الطبقة العاملة ومن غيرها من طبقات العمال في الحزب الشيوعي السوفيتي الذي يعتبر طليعة العمال في كفاحهم من أجل تثبيت دعائم النظام الإشتراكي وتطويره والذي يمثل نواة التوجيه لكل تنظيمات العمال الإجتماعية أو الحكومية) .

وفي عام ١٩٧٧ صدر دستور جديد عبر بشكل واضح وصريح على الدور الشمولي للحزب الشيوعي وذلك في المادة السادسة منه . فبموجب هذه المادة إن الحزب ليس مجرد الطليعة والقائد لجميع المنظمات كما هو الحال وفقاً لدستور ١٩٣٦ بل هو (القوة القائدة والموجهة للمجتمع السوفيتي) و(نواة نظامه السياسي ومؤسسات الدولة) . وهو الذي يحدد (الأفق العام لتطور المجتمع وخط السياسة الداخلية والخارجية معاً) . وهذه المادة تؤكد بشكل واضح وإن كان ضمنياً الأخذ بمبدأ الحزب الواحد.

ويتضح مما تقدم إن الحزب الشيوعي هو أساس النظام السياسي والدولة ومعنى ذلك إنه العنصر الأساسي في النظام السياسي. وإن لم يكن الوحيد. كما يعني إن الدولة هي دولة الحزب[3]. لأن قيادات الحزب هي التي تقود الدولة[4]. وأعضاء الحزب ولجانه تراقب أداء أجهزة الدولة

١ إنتقد بعض الكتاب إطلاق تسمية (حزب كل الشعب) على الحزب الشيوعي وذلك لمجافاة هذه التسمية للمفهوم الماركسي للحزب والذي يرى إن الحزب تعبير عن مصالح طبقة بذود عنها . ويرتبط بها وجوداً وعدماً . ومن ثم ينتفي وجود الحزب في مرحلة دولة كل الشعب. إنظر د. إسكندر غطاس .مصدر سابق. ص٤٨٩.

٢ لم ينص دستورا ١٩١٨، ١٩٢٤ على الدور القيادي للحزب الشيوعي في الدولة وإن كان التطبيق في الواقع يعكس ذلك .

٣ د.صالح جواد الكاظم . مصدر سابق . ص ١٢٩.

٤ وقد صرح ستالين في وقت مبكر بذلك حيث قال في عام ١٩٢٧ لوفد عمالي كان في زيارة للإتحاد السوفيتي (نعم